تمثيلات المثقف

الاسم واللقب: حسين حيمر
مختبر:..الفينومينولوجيا وتطبيقاتها
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة: تلمسان البلد: الجزائر
himeurhocine@yahoo.com

قُدم للنشر في:2020-07-03 قُبِل للنشر في: 07 -2021-01
نشر في: 2021/02/26

Name & Surname:
Laboratory: .....
Faculty:s s u... .....University :tlemcen..Contery:..... ...
Email : himeurhocine@yahoo.com

Received; 03-07-2020 Accepted: 07-01-2021
Bublier le 26/02/2021

ملخص:

في كتابه تمثيلات المثقف يطالب سعيد المثقف كشخص يقول الحق في مواجهة السلطة باستجواب سلطة بلده، وكفرد شجاع، وغاضب لا يعرف أية قوة دنيوية تكون مهيبة وتخلو من النقد على تصرفاتها، وعلى المثقف مهمة كانت صفته (شاعرا، أستاذا، مؤلفا، كاتبا، صحفيا،...)، أن ينتقد السلطة مهما كانت (دينية، سياسية، إدارية،...)، لأنه هو المحور الأساسي لأعمال المجتمع المعاصر وبدونه لم تقم أي ثورة في التاريخ الحديث،"الواقع أن الحكومات مازالت تضطهد الشعوب على نحو واضح، وسوء تطبيق العدالة مازال يحدث، واستمالة السلطة للمثقفين واحتواؤهم مازالا قادرين بفعالية على خفض أصواتهم وانحراف المثقفين عن مهمتهم الأساسية في معظم الحيان.

كلمات مفتاحية: المثقف، تمثيلات، أدوار سعيد، أوهام المثقف، النقد الثقافي

تمهيد

كتب إدوارد سعيد كتابا عن المثقف، ينظر فيه لثقافة المعارضة، والذي يواجه السلطة بالحقيقة ومساندة الضعفاء والمقهورين والمحرومين، وهو كتاب لا ينتج الأفكار التقليدية والعقائدية الجامدة، فالمثقف عند سعيد هو الشخص الذي "تكون علة وجوده هي تمثيل الناس المنسيين والقضايا التي تم إهمالها بصورة متكررة أو أنها كنست وخبئت تحت البساط"[1].

وعليه فإن صاحب الكتاب يطرح فيه تعريف المثقف الحقيقي الذي لا يجوز أن يقل عن مبدئية عن سقراط أو غيره من الرجال العظام الذين عرفهم الإنسانية، وفي كتابه دافع سعيد عن المعايير الأزلية للحق والعدل، في مقابل عامة الناس الذين يتهمون بالبحث عن المنافع المادية وإقامة علاقات مع الأنظمة السياسية، إن سعادة المثقف الحقيقة تكمن في عاطفته الوجدانية، ومبادئ الحق والعدل فيه، عندما يشجب الفساد ويدافع عن الضعيف، ويتحدى السلطة القمعية والناقصة مثل "الفرنسي أرنست رينان، الذي شجب حروب نابليو العنيفة في أوروبا، والألماني نيتشه الذي شجب عنف ألمانيا ضد فرنسا عندما احتاتها عام 1871، وفي هذا يرى سعيد"إن الحكومات إنما تريد أن تتحول المثقفون إلى خدام لها، يُحَوِّلُونَ الأنظار عن أعداء البلاد الطبيعيين، بابتكار عبارات ملطفة وقاموس لغة خشبية، ونظام كامل من العبارات المقنعة التي يمكن أن تخفي ما يجري باسم النفعية (المؤسساتية)[2].

وفي كتابه تمثيلات المثقف يطالب سعيد المثقف كشخص يقول الحق في مواجهة السلطة باستجواب سلطة بلده، وكفرد شجاع، وغاضب لا يعرف أية قوة دنيوية تكون مهيبة وتخلو من النقد على تصرفاتها، وعلى المثقف مهمة كانت صفته (شاعرا، أستاذا، مؤلفا، كاتبا، صحفيا،...)، أن ينتقد السلطة مهما كانت (دينية، سياسية، إدارية،...)، لأنه هو المحور الأساسي لأعمال المجتمع المعاصر وبدونه لم تقم أي ثورة في التاريخ الحديث،"الواقع أن الحكومات مازالت تضطهد الشعوب على نحو واضح، وسوء تطبيق العدالة مازال يحدث، واستمالة السلطة للمثقفين واحتواؤهم مازالا قادرين بفعالية على خفض أصواتهم وانحراف المثقفين عن مهمتهم الأساسية في معظم الحيان"[3]عندما تساءل سعيد عن "من هم المثقفون هل هم فئة كبيرة جدا من الناس، أم نخبة رفيعة المستوى، وقليلة العدد؟"[4] وجدناه يقدم إجابة متناقضة بين وجهتي نظر، الأولى يمثلها الفيلسوف الايطالي الماركسي اللامع أنطونيو غرامشي ntonio GramsciA التي عرضها في كتابه (دفاتر السجن)The prison note Books ، مفادها أن كل الناس مثقفون، لكن من لا يقوم بوظيفة المثقف في المجتمع إن لم يتوفر فيه الوعي النقدي لا يمكنه أن ينتمي إلى طبقة المثقفين، ومقولته تثبت بأن "الوعي الذاتي النقدي، بمعنى تاريخي وسياسي، خلق نخبة من المثقفين، فالكتل البشرية لا تتميز ولا تصير مستقلة من تلقاء نفسها، من دون أن تنظم

نفسها بالمعنى الواسع، ولا تنظيم بدون مثقفين، وبدون منظمين، وبدون قادة"[5]. وأما النظرة الثانية فيمثلها جوليان بيندا Julien Benda، المفكر الفرنسي صاحب كتاب خيانة المثقفين Trahison des Clercs، وهو يهاجم فيه بعنف المثقفين الذين تخلوا عن وظيفتهم الحقيقية في مجتمعاتهم، وابتعدوا عن مبادئ الحق والعدالة، وتجردوا من سلطتهم الأخلاقية لصالح حكوماتهم الطاعية، وتكفي الإشارة إلى ما قاله"هل من داع لأعيد إلى الأذهان كيف شجب الأسقف فينيلون Phenelon ماسنيون Massignon بعض حروب لويس الرابع عشر؟ وكيف شجب فولتير تدمير البلاطنيين؟ وكيف شجب إرنست رينان Ernest Rinan حروب نابليون العنيفة على أوروبا؟ وكيف شجب باكل Backel تعصب إنجلترا ضد الثورة الفرنسية؟ وكيف شجب نيتشه Neitzch الأعمال الوحشية لألمانيا ضد فرنسا؟" [6].

يرفض سعيد المثقف الذي يشرف على حياته من برجه العاجي لحساب المثقف المنشغل دائما بتوصيل رسالته لجمهور ما، وينشغل بهمومه وقضاياه، ويربك بطرح الأسئلة وكسر القوالب الجامدة. إن المثقف رواية بديلة عن تاريخ مهمش، عليه أن يبرزه، وبذلك يصبح عمله هو مشاركة فعلية في الواقع الاجتماعي والثقافي. المثقف بالتعريف، حسب سعيد، معارض بامتياز، ومنفي بالضرورة، مسافر وحيد في واقع يدفع به إلى وحشة. ولقد أشار الكثير من النقاد إلى صورة المثقف التي ينتهي إليها سعيد في صورة المثقف ليس إلا إسقاطا لحالته الشخصية. وليس من الغرابة أيضا أن نجد سعيد يذكر اسم انطونيو غرامشي Gramsci في الفصل الأول من كتابه صور المثقف، حيث يأخذ سعيد بلا تحفظ، بتعريف غرامشي للمثقف ويؤكد على صدقيته.

وما يقبل به سعيد قائم في أطروحتين، الأولى منهما، هي: (إن كل الناس مثقفون، ولكن ليس لهم كلهم أن يُؤَدُّوا وظيفة المثقف والمجتمع)، وتبدو لنا هنا وظيفة المثقف الاجتماعية التي تنطوي على توليد حركة مجتمعي وإقامة بنية ثقافية تنشئ الحركة وتمدها بإشارات مستقبلية. وتعترف هذه الأطروحة بتساوي البشر فكل الناس مثقفون وإن كان بعضهم أكثر ثقافة من البعض الآخر الأمر الذي يوحي بـ "المثقفين الكبار" الذين يستطيعون بثقافتهم، صياغة أفكار كبيرة ليس بمقدور غيرهم الإتيان بها. وتَنُصُ الأطروحة الثانية : (إن منظم الأعمال الرأسمالي

يخلق إلى جانبه التقني الصناعي والاختصاصي في الاقتصاد السياسي، ومسؤولين لإنشاء ثقافة جديدة أو نظام قانوني جديد، وما إلى ذلك)[7].

يتحدد المثقف في شكله الرأسمالي، بالوظيفة التي توكلها إليه المؤسسات الرأسمالية، وهو ما يقصي كليا المثقف عن صورته المشدودة إلى الإلهام والتفرد الكلي يشتقه من شروط اجتماعية متجددة تظل السلطة مرجعها الأساسي. تقوم مقولة المثقف عند غرامشي على التمييز بين العمل الذهني عن العمل العضوي وتقوم أيضا شكل المثقف الذي تنزع عنه جوهرا ثابتا مزعوما وتربطه بتاريخ اجتماعي لا يفصل بين موقع المثقف والصيرورة الإنتاجية. بيد أن الأطروحة الثانية لا تكتمل إلا بأطروحة أخري صادرة عن المثقف البديل الذي يرفض الرأسمالي والمثقف الذي يلبي وحاجاته مناديا بثقافة جديدة تتبادل المواقع مع سياسة جديدة. وعليه فإن سعيد قد تبنى تعريف غرا مشي الذي يقسم المثقفين إلى تقليديين وعضويين. الأول هو الأقرب إلى الصواب مثل القاضي والمعلم ورجل الدين...، ويرتبط التعريف الثاني مباشرة بطبقات ومؤسسات تجارية تستخدم المثقفين لتنظيم مصالحها وتوطيد مواقعها وسيطرتها مما يخلف صراعا طبقيا يترك أثاره على المثقفين وينتج عن ذلك الصراع أيضا مثقفين يساوون بين السلطة والمعرفة وآخرين يندرجون في مشاريع ثقافية . سياسية ولعل هذا الصراع هو الذي يعطي المثقفين العضويين سماتهم الخاصة فهم "دائموا التنقل والتشكل على عكس المعلمين والكهنة"[8]. إن مواجهة السلطوي ببديل مستقبلي هي في أساس مفاهيم الهيمنة وحرب المواقع والمثقف الجمعي والحزب الشيوعي عند غرامشي، وهي في أساس فكرة المثقف الذي يواجه السلطة بالحق، عند سعيد. هذا ويصبح المثقف الاحترافي عند غرامشي، الذي يفصل بين المعرفة والجمهور، مثقفا عضويا يقف إلى جانب سلطة قائمة ضد سلطة عزلاء، هي الجمهور الذي لا سلطة له،. يعبر سعيد عن زيف الحياد المعرفي في كتابه العالم، النص والناقد، فيكتب "إن أطروحة غرامشي هي أن جميع المثقفين هم فعليا مثقفون عضويون إلى حد ما، حتى وإن بدوا لا علاقة لهم بقضية سياسية"[9]. نقض سعيد في كتابه صور المثقف الاحترافي بالمثقف الهاوي، الذي ينادي بحوارية المعارف ويسائل معارفه من وجهة نظر الجمهور، وبمبدأ أخلاقي ويحتفي بالضمير. وهذا ما ينشر في كتابه العالم، النص والناقد مقولة غرامشي عن وظيفة

المثقف الاجتماعية التي تنظر إلى المجتمع المدني وتوسيع إمكانياته وتنقض الاحتكار في وجهيه السلطوي والمعرفي. فبما أن "كل الناس مثقفون"، لأنهم يتوسلون المعرفة في كل ما يقومون به، فإن في خبراتهم ما يحاور الاحترافي المغلق الهارب من الحوار. بل إن في مقولة المثقف الهاوي ما يوحد بين البشر جميعا، مختصين كانوا، مثل اللغوي تشومسكي Noam Chomsky الذي يعالج قضايا سياسية، أو غير مختصين، مثل "القارئ العام" الذي يستطيع أن يحاور اللغوي والسياسي معا. ولعل مقولة المثقف الهاوي، التي تحض المثقف على توزيع المعرفة ونشرها وتوسيعها بأشكال مختلفة هي التعبير الدقيق عن العلاقة بين المثقف والمجتمع المدني، من حيث هما علاقتان دنيويتان تنكران الانغلاق. وفي الواقع فإن في العلاقتين ما يفصح عن التعدد الدنيوي، ذلك أن المثقف الهاوي هو الذي يقف حول حقول متنوعة، وعليه فإن المثقف الهاوي، والمجتمع المدني، ودنيوية النصوص، ما هي إلا مرايا للأزمنة الحديثة والحداثة.ويؤسس المثقف الاحترافي . على نقيض المثقف الهاوي ،. عمله على وحدة السلطة والمعرفة، التي تجعل السلطة علاقة داخلية في مهنته، وتجعل مهنته إجابات معرفية على قضايا سلطوية.ومنه صدر نسق من الاهتمام الأكاديمي، مثل محاربة الشيوعية، وتزييف الإسلام واختراع "الحقائق الصهيونية"، هاجم سعيد هذه الحقائق كهجومه حقائق الاستشراق، لأنها تقوم في المحصلة بوظيفة الرؤية العالمية المسلحة بقوة سياسية هائلة ليس من السهل تصريفها تحت لافتة الإبستمولوجيا"[10]. وفي الحقيقة فإن في جهاز غرامشي النظري يشرح الأسباب التي تعطي الصناعة الكاذبة، وبهذا المعنى يصبح فكره منهجا للتعرف الذاتي، من ناحية، واقتراحا لمقاومة الزيف الأكاديمي، من ناحية ثانية. ولعل مفهوم المقاومة .عند سعيد الذي يحايث مفهوم الهيمنة عند غرامشي . هو الذي جعل سعيد يرفض "قدرية فوكو" (حيث اكتفى هذا الأخير بتشريح الآليات القمعية للسلطة دون أن يهتم بالقضايا التي تواجهها).

يستدعي سعيد كلا من أنطونيو غرامشي وجوليان بيندا، في كتابيه صور المثقف والعالم النص والناقد، وهو يتحدث عن دور المثقفين الاجتماعي، ففيما ينصرف غرامشي إلى موضوع المثقف ملامسا تخوم الشغف باحثا عن ما يسميه (المثقف السياسي للطبقة العاملة) حيث يساوي انحيازه الطبقي، نجد جوليان بيندا ينتقد المثقفين بسبب (الأهواء السياسية) التي تفترض انحيازا هو جوهر خيانتهم، وهو الذي يشوه الدور "المحايد"الذي عليهم التمسك به. كأن

يقول بيندا: "لم يكتفوا باتخاذ جانب الأهواء وحسب، بل إنهم أتاحوا لها، عن رغبة، أن تخالط أعمالهم كفنانين، ورجال تعليم، وفلاسفة. والحق أنه لم يكن هنالك أبدا مثل هذه الكثرة من الأعمال السياسية بين تلك التي يفترض بها أن تكون مرآة للفكر غير المتميز"[11]. بل إن جوليان بيندا لم يخف قط مقته الشديد للاشتراكية والطبقة العاملة وما يرتبط بهما، مساويا بين الطبقات العاملة ونشر الكراهية في المجتمع. حاول سعيد أن يعيد للمثقفين دورهم الاجتماعي معتمدا على أفكار غرامشي، وأن يذكر بتاريخ خيانة المثقفين، حيث ذهب إلى بيندا بدون أن يجد فرقا بين منظر شيوعي، ومثقف فرنسي معاد للشيوعية، إن سعيد وهو قارئ ممتاز لغرامشي، لن يلتفت إلى النقد الذي وجهه هذا الأخير إلى جوليان بيندا: "إن بيندا يعاين وظيفة المثقفين دون أن ينظر إلى وضعهم الطبقي"[12]. المقصود بذلك هو أن بيندا يستبدل الطبقي عند المثقفين بالسياسي عندهم، ولا يعير أي اهتمام لوظائفهم في المجتمع الرأسمالي التقدمي. إلا أن سعيد يولي اهتماما بالغا للجانب السياسي، الأمر الذي دفعه للحديث المطول في كتابه تمثيلات المثقف عن (الجمهور) الذي يحتاج للمثقف، كما يحتاج هذا الأخير إليه، لأن كل رسالة بحاجة لمن يستقبلها، ففكرة الجمهور عند سعيد، تقابل فكرة الطبقة عند بيندا، غن هذا الجمهور يحتاج إلى الحق والحقيقة، وهو في غنى عن الصراع الطبقي وحرب المواقع، هذا من جهة. ونجد سعيد يتحرر من غرامشي، حيث يبدل المثقف العضوي بالمثقف الهاوي والطبقة العاملة بالجمهور والثورة الاشتراكية الدفاع عن الحق، ويتضح لنا أن مقولة سعيد "المثقف الهاوي"تستمد خصوصيتها من مقولتيه الأخريين (الجمهور والدفاع عن الحق)، مما يجعله أي المثقف الهاوي صوتا أخلاقيا وكونيا وإنسانيا يدافع عن المظلومين والمضطهدين في جميع أرجاء العالم. وبهذا يكون سعيد نقيضا للمثقف الجمعي الذي أراده غرامشي، نقيضا له بسبب وضع المثقف الهاوي فوق غيره، وبديلا عنه لأن المثقف الهاوي يعبر عن تطلعات جميع المحتاجين على الحق والحقيقة طالما أن (قول الحق) هو أكثر قوة من (قول السلطة).

إن مصطلحات الحق والحقيقة والعدل... تملأ كتاب سعيد تمثيلات المثقف وهي تكشف عن خطابين، الأول أخلاقي والثاني سياسي غير أن غرامشي يبدأ بالخطاب السياسي وينتهي إليه ولا

يتفق مع التصور المادي التاريخي الذي يستخرج المثقف من تاريخه الاجتماعي ويربط بين وظائف المثقفين والطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها.إن دور المثقف عند غرامشي هو البرهنة على صحة أفكار سعيد، وما يربط بينهما ورباط محدود يتجلى في العلاقة الواسعة بين المثقف والمجتمع، وهي علاقة تؤكد على حق الإنسان في العيش الكريم، وبجملة مختصرة إن العلاقة بين المفكرين تكمن في الإعلان أنه يجب على المضطهدين أن يكتبوا بكل حرية التاريخ الخاص بهم.إن مفاهيم 'الغرب' و'الشرق' تعد من طرح الباحثين والمؤرخين، ثم عدل هذا الطرح، ومن ثمة كان سعيد يرى أن المثقفين بعامة يساهمون في إنتاج الوقائع وليسوا معزولين عنها، وفي هذا الصدد يبرز دور المثقف المعارض وإمكانياته الفعالة، خاصة في الوسائل التي يستعملها لتأدية دوره، وهذا الدور المعارض الذي يقوم به المثقف لا يرقى لمكانة المعارضة حتى يصبح "أحد أولئك المتمكنين من قول الحقيقة بوجه السلطة بصلابة وبشجاعة وبلا مواربة وببلاغة فلا يرى المثقف حرجا في نقد أي سلطة مهما طغت وتجبرت"[13].لا شك أن هناك علاقة تضافر ما بين كتاب سعيد تمثيلات المثقف وأوضاعه المختلفة، وبوصفه مثقفا عرف بانتمائه للقضية الفلسطينية لكونه فلسطيني الولادة والجنسية، ولكونه يعيش هذا الوضع المركب، ومن ثمة جاءت حواراته المختلفة التي أجريت معه ممثلة لهذه الصورة الأكثر بلورة لفكره، فهو يرى عمق "الإحساس لديه بسبب الخلفية التي تمتع بها في الشؤون السياسية الفلسطينية، فالهوة التي تفصل بين الأغنياء والفقراء تزداد اتساعا كل يوم في الغرب والعالم العربي، ومن الغريب أن يؤدي إلى قدر بشع من اللامبالاة المصحوبة بالإعجاب بالنفس عند المفكرين والمثقفين القابضين على زمام الحكم"[14].حضر سعيد إلى القاهرة بمناسبة (عام فلسطين) الذي تبنته الجامعة الأمريكية، وقدم محاضرة تكشف عن عمق رؤيته الثاقبة لتاريخ القضية الفلسطينية التي دأب على الحديث عنها قبل أن يكون عضوا في منظمة التحرير الفلسطينية، وقبل تركه لها بعد أن قدم آرائه التي لخصها من قبل في عام 1994، عندما أجرى دافيد بارساميان مجموعة من الحوارات معه قدم لها أحمد إقبال بروفيسور علم السياسة ومختص في تدريس قضايا الشرق الأوسط والعالم الثالث في معهد الدراسات السياسية . في كتاب عنوانه "القلم والسيف"[15].ويتطلب فهم كتاب سعيد تمثيلات المثقف الرجوع لمسيرته الذاتية، وحياته داخل

وخارج الجامعة، ومعيشته على ضفاف ثقافتين الأولى عربية والثانية غربية.أمريكية، إن حكايته الذاتية كشخص مرتحل في الجغرافيا وعلى حدود تلك الثقافتين، تروي لنا الكثير مما تعرض له، حيث هدده اللوبي الصهيوني بالقتل مرات عديدة، والتهمت النيران مكتبه الخاص في الجامعة فضاعت منه الأعمال والأموال، بسبب فعل فاعل، كما هددت عائلته، ومن أشهر الحملات التي خطط لها اليمين الصهيوني المتطرف، حكاية اتهام سعيد بتزييف سيرته الذاتية، من خلال المقالة الشهيرة التي كتبها المحامي اليهودي الأمريكي جستس رايد فاينر J ustus Reid Weiner، في المجلة الشهرية الأمريكية كومنتري Cmmentry، الموسومة بعنوان "بيتي العتيق الجميل وأكاذيب أخرى اختلقها إدوارد سعيد" نشرت في العدد سبتمبر/أيلول 1999، ونفس المجلة وصفت سعيد قبل أكثر من عشر سنوات 1988، بـ"بروفيسور الإرهاب". وقد عبر سعيد عن تلك المقالة بقوله "يريد جستس أن يكسب شهرة على رجل مشهور ".إن مسألة المنفى هي الحالة الأعمق والأكثر تأثيرا في الجوانب المتصلة بالفكر ودور المثقف عند سعيد في بعض كتبه مثل تمثيلات المثقف IRepresentations of the ntellectual، وتأملات حول المنفى ومقالات أخرى Reflections on exile and other essays، وهي تحتل مكانة مركزية في كتاباته، إذ نجده يخصص لذلك محاضرة في كتابه تمثيلات المثقف، موسومة بعنوان "منفى المثقفين: المغترون والمهمشون". لقد تحول المنفى الفكري في القرن العشرين من حالة فردية إلى وضعية جماعية، حيث نفيت شعوبا وأمما بكاملها كما حصل للأرمن والفلسطينيين، كما يتخذ المنفى أشكالا قسرية واختيارية، ويترب عنه أحيانا شعورا بعدم الاندماج في المجتمع الذي نفي إليه المرء طيلة حياته، فيصير منبوذا اجتماعيا ومحروما من وطنه جغرافيا ومعنويا، فيتحول إلى عقوبة مريرة، ويعبر سعيد عن هذه الحالة الشعورية "لا يبعث الأحزان مصير مثل العيش في المنفى، وكان الحكم بالمنفى في العصور التي سبقت العصر الحديث عقوبة بالغة الشدة، فالنفي لا يقتصر معناه على قضاء سنوات يضرب فيها المرء في الشعاب هائما على وجهه، بعيدا عن أسرته وعن الديار التي ألفها، بل يعني إلى حد ما أن تصبح منبوذا إلى الأبد، محروما على الدوام من الاحساس بأنه في وطنه، فهو يعيش في بيئة غريبة، لا يعزيه شئ عن فقدان الماضي، ولا يقل ما يشعر به من مرارة إزاء الحاضر والمستقبل"[16] ويتضح لنا بأن المنفى عند سعيد"يولد الضغينة، ويولد رؤية ماضية حادة، وما خلفه المرء وراءه يثير الندب والتفجع، كما يوفر مجموعة مغايرة من

العدسات، لأن المنفي والذاكرة يسيران معا، فما يتذكره المنفي من الماضي وكيف يتذكره، هو ما يحدد كيف يرى هذا المرء إلى المستقبل"[17]، وفي نظر سعيد فإن "المثقف باعتباره منفيا يميل إلى الإحساس بأن فكرة الشقاء تسعده، حتى أن الاستياء الذي يكاد يشبه (عسر الهضم) قد يصبح لونا من ألوان سوء الطبع أو انحراف المزاج الذي يتحول إلى "أسلوب للتفكير"بل أيضا إلى مأوى جديد له وإن كان مؤقتا"[18]من الأمثلة البارزة لمنفى المثقفين . عند سعيد . الذين تمكنوا من التواؤم مع المجتمعات المستقبلة، وتحصلوا على المراتب العليا اجتماعيا وسياسيا هنري كيسنجر القادم من ألمانيا النازية، وزيبجنيو برزنسكي البولندي، كان لهما أدوار كبيرة في رسم وقيادة السياسة الخارجية الأمريكية في سبعينيات القرن الماضي، "وربما لا يكون برزنسكي وكيسنجر، من بين الحالات الاستثنائية... فقد جاءت إلى أمريكا مجموعة كبيرة من الباحثين المتميزين في العلوم الإنسانية والاجتماعية وكان بعضهم من مصادر الثراء للجامعات الأمريكية بما قدموه من مواهب"[19]. عالج سعيد مسألة المثقفين كفلسطيني تحتم عليه العيش بعيدا عن وطنه في وطن معاد لفلسطين، وينكر حقه الشرعي في الحرية والوجود، هذا البلد الذي تسود فيه مفاهيم مغلوطة عن الوطن الفلسطيني وقضاياه العادلة، ويروج لتلك المفاهيم مثقفون عرب وغير عرب يوظفون عقولهم لإبداع أساطير وخرافات سياسية لصالح من يدفع لهم أجورهم في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وكانت كتابات سعيد في هذا الشأن تعبيرا صادقا عن معاناته الشخصية، ونضاله المرير من أجل توضيح الحقيقة ورفع اللبس على القضية الفلسطينية في الغرب، رافع سعيد مرافعات عديدة للدفاع عن قضيته وعن المثقف الحقيقي وقدسية ما يمثله من مبادئ وقيم إنسانية رفيعة، فقد كان بحق الناقد والمفكر والمناضل والفنان الفرد المستقل والممثل للحق وأصحابه.إن النخبة هي التي تؤثر وبأشكال مختلفة في حياة الناس الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وهي تستمد قواها ومواقعها من قوة أفكارها التي تبقى من صنع الفكر البشري، رغم أنها (الأفكار) تتمثل في أدوات ووسائل يستخدمها الإنسان، فهي بذلك صناعة بشرية خالصة وهي عمل ميدان المثقف، وفي ذلك يقول سعيد: "في

عالم الدنيا . عالمنا، أي العالم التاريخي والاجتماعي الذي صنعته الجهود البشرية . لن يجد المثقف بين يديه سوى أدوات علمانية يتوسل بها في عمله"[20].

في القرن العشرين تضاعفت وتعقدت الحياة الاجتماعية بكل أبعادها بدون استثناء مما أدى إلى حدوث مآسي إنسانية جعلت الفيلسوف البريطاني من أصول يهودية أشيعيا برلين saiah I Berlin، يرى بأننا "نعيش في عصر أفكار وضعها مفكرون متعصبون، لم يحط البعض منهم إلا بالقليل من الاحترام في حياتهم"[21]، لكن هذا لا يعني أبدا أن المفكر لا يصنع إلا الأفكار الهدامة فحسب ولا مكانة له في سلم الحياة الاجتماعية، فإذا صح ذلك على البعض من المفكرين الروس، فلا ينبغي تعميم ذلك على كل المثقفين.وسعيد من بين المثقفين الذين ساهموا بفكرهم وأقلامهم في إنتاج الأفكار وصناعتها، فهو الذي كتب عن الثقافة الإنسانية انطلاقا من رؤية شمولية، كيف لا وهو الذي يتقن الكثير من اللغات وهو يهتم بالرواية والموسيقى والتاريخ والسياسة فكان له بذلك الأثر البليغ في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية ومن أهمها الانثروبولوجيا والنظرية الأدبية وخطاب ما بعد الاستعمار، وتحتل أعماله في النظرية النقدية مكانة محترمة بين النظريات النقدية الكبرى، وهو الذي كان نقده نقدا إنسانيا إذ اقترح نسخة جديدة للمذهب الإنساني في كتابه المذهب الإنساني والنقد الديمقراطي الذي نشره عام 2004، كما نجد سعيد يستنتج من أعمال فرانز فانون Frantz Fanon، الأخيرة وبالخصوص كتاب المعذبون في الأرض أن تحرير الإنسان الغربي من فرديته ونزعته الذاتية الكولونيالية التي تبرر سيطرة الجل الأبيض[22].وتتصف كتابات سعيد حول المثقف بالكثافة، وهي تلقي الضوء على انجازاته في الثقافة المعاصرة، إن البحث في كتاب سعيد ثمثيلات المثقف ions of Represent the intellectual ليس بالمهمة السهلة إذ يتوجب على من يفعل ذلك أن يقرأ الكتاب مرات عدة حتى يتمكن من فهم أغواره ومبتغى صاحبه من وراء تأليفه له.أول مسالة تطرح هي عنوان الكتاب نفسه، حيث "يسبب لأي مترجم عناء شديدا في نقله إلى العربية بسبب دلالاته المتشابكة بل واعتماده على تعدد الدلالات، فالمعروف عن كتاب الانجليزية الحديثة ولوعتهم بالتورية، والتورية أعقد ما يتصدى له المترحم مهما تكن اللغة التي يترجم عنها أو منها"[23]. ويتميز أسلوب

سعيد اللغوي في كتاباته المتعددة باستخدامه الجمل المعقدة والطويلة في الصياغات المتنوعة، وهو الذي كان يترأس (جمعية اللغات الحديثة) في أمريكا [24]. وقد فضل سعيد إصدار مؤلفاته باللغة العربية في (دار الآداب للنشر ببيروت لبنان) لأنه كان يشعر بثقة كبيرة بأن ثمة مترجمين يعيدون النظر في الترجمات المختلفة ويدققون ويصححون، وكان سعيد أحيانا يختار اسم المترجم مثل ما فعل عندما اختار الناقد والمفكر السوري كمال أبو ديب الذي قام بترجمة كتابي الاستشراق والثقافة والإمبريالية، وكان سعيد أحيانا يقوم بتقديم موافقته على مترجمي كتبه، الأمر الذي حدث حينما اقترحت دار الآداب على سعيد فواز طرابلسي لترجمة كتابه خارج المكان المتعلق بمذكراته الذاتية. وكل من المترجمين - كمال أبو ديب وفواز طرابلسي - كانا من بين الأصدقاء المقربين لسعيد، وهما يعرفان أعماله حق المعرفة[25]. ويبقى القول بأن عائقي اللغة والترجمة مطروحين بحدة في الأعمال الأكاديمية، لأن النصوص المترجمة تؤدي في بعض الأحيان إلى الشعور بنوع من خيانة اللغة.

مجلد(05) عدد(02) فيفري2021 ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448

الهوامش:

[1]- Edward Said, Representations of the Intellectual, the reight lectures, London: Vintage; 1993, P 9.

[2]- إدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة غسان غصن، دار النهار بيروت 1996، ص 22.

[3]- المرجع نفسه، ص 33.

[4]- المرجع نفسه ، ص 21.

[5]- المرجع نفسه ، ص 21.

[6]- المرجع نفسه ، ص ص 23- 24.

[7]- المرجع نفسه ، ص 21 .

[8]- المرجع نفسه، ص 22.

[9]- Edward Said, The world the text and the critic, Mass: Cambridge, Harvard UP, 1983, P 82.

[10]- إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996، ص 71.

[11]- أحمد إعجاز وإدوارد سعيد، الاستشراق وما بعد: إدوارد سعيد من منظور النقد الماركسي، ترجمة ثائر دبب، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، 2004، ص ص 36. 38.

[12] 56- G.B. Gluckmann, Gramsci et L'état,(Paris : Fayard, 1975), P

[12] - Edward Said, Representations of the Intellectual, the reight lectures, London: Vintage; 1993, PP 7-8.

[14]- Ibid, P 28.

[15]- عفاف عبد المعطي، إدوارد سعيد عالم ومفكر بدرجة فنان،00000

[16]- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة محمد عناني، ط1،2006 ، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ص 92.

[17]- المرجع نفسه ، ص 42.

[18]- المرجع نفسه ، ص 101.

[19]- المرجع نفسه ، ص 98.

[20]- المرجع نفسه ، ص 151.

[21] - Henry Hardy and Aileen Kelly, Russian Thinkers, Isaiah Berlin, (Ed, London: Penguin 1980), P 98.

[22] - Edward Said, Culture and Imperialism, London: chatto and windus,1993,P 325.

[23]- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة محمد عناني، ط1،2006 ، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ص 6.

[24]- فخري صالح، دفاعا عن إدوارد سعيد/دراسة، ط1 2000 بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 18.